سورة مريم

سورة ورد فيها اسم من أسماء الله الحسنى مختص به سبحانه ، لايجوز أن يسمى به غيره، وهذا الإسم فيه رقة وتعطف وشفقة ، من صفات الكمال الرباني ، نعيشه في هذه السورة نستشعره في كل آية من آياتها ونلمسه ونرى آثاره في كل معنى من معانيها، ليمتلئ قلب المؤمن ويفيض به، فيعظم رجاؤه ويستبشر فؤاده حبا وقربا، ويقوى يقينه حين يعاين في رحلته مع هذه السورة الكريمة صورا ومشاهد يتجلى فيها هذا الإسم ، ورد ذكره في أولها وفي أخرها ، وتكرر في ثنايا السورة (١٦) مرة فما هو هذا الإسم من أسماء الله سبحانه ؟

اسم الرحمن ورد في القرآن (٥٨) مرة، وفي سورة مريم (١٦) مرة، ولفظ الرحمة ورد أربع مرات (ذكر رحمت ربك – ووهبنا له من رحمتنا – ووهبنا لهم من رحمتنا - ولنجعله آية للناس ورحمة منا) وسورة مريم هي سورة الرحمة والمواهب فوهب الله زكريا يحيى، ومريم عيسى، وإبراهيم اسحاق ويعقوب، موسى أخاه هارون.

المبحث الأول: التعريف بالسورة

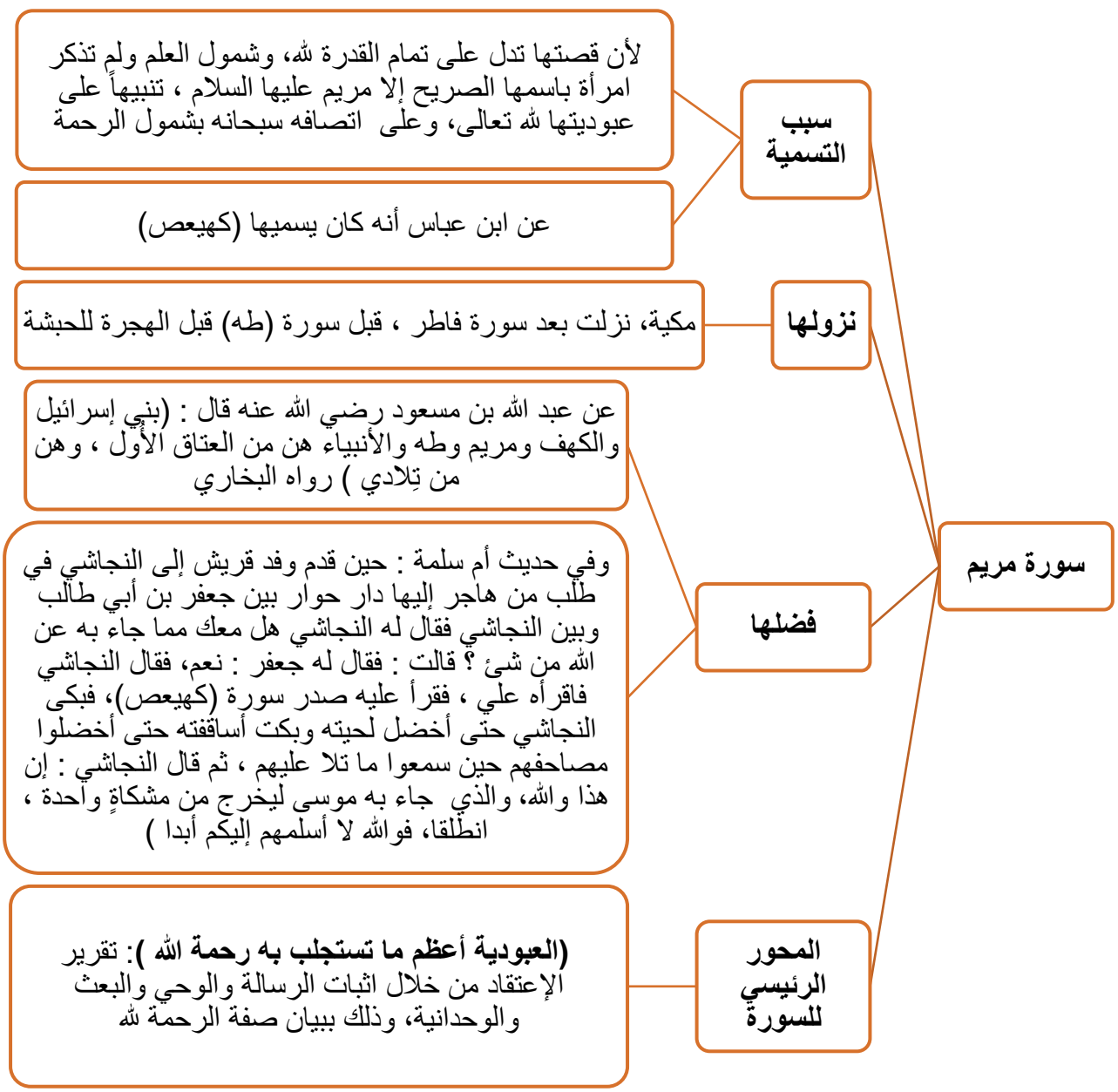

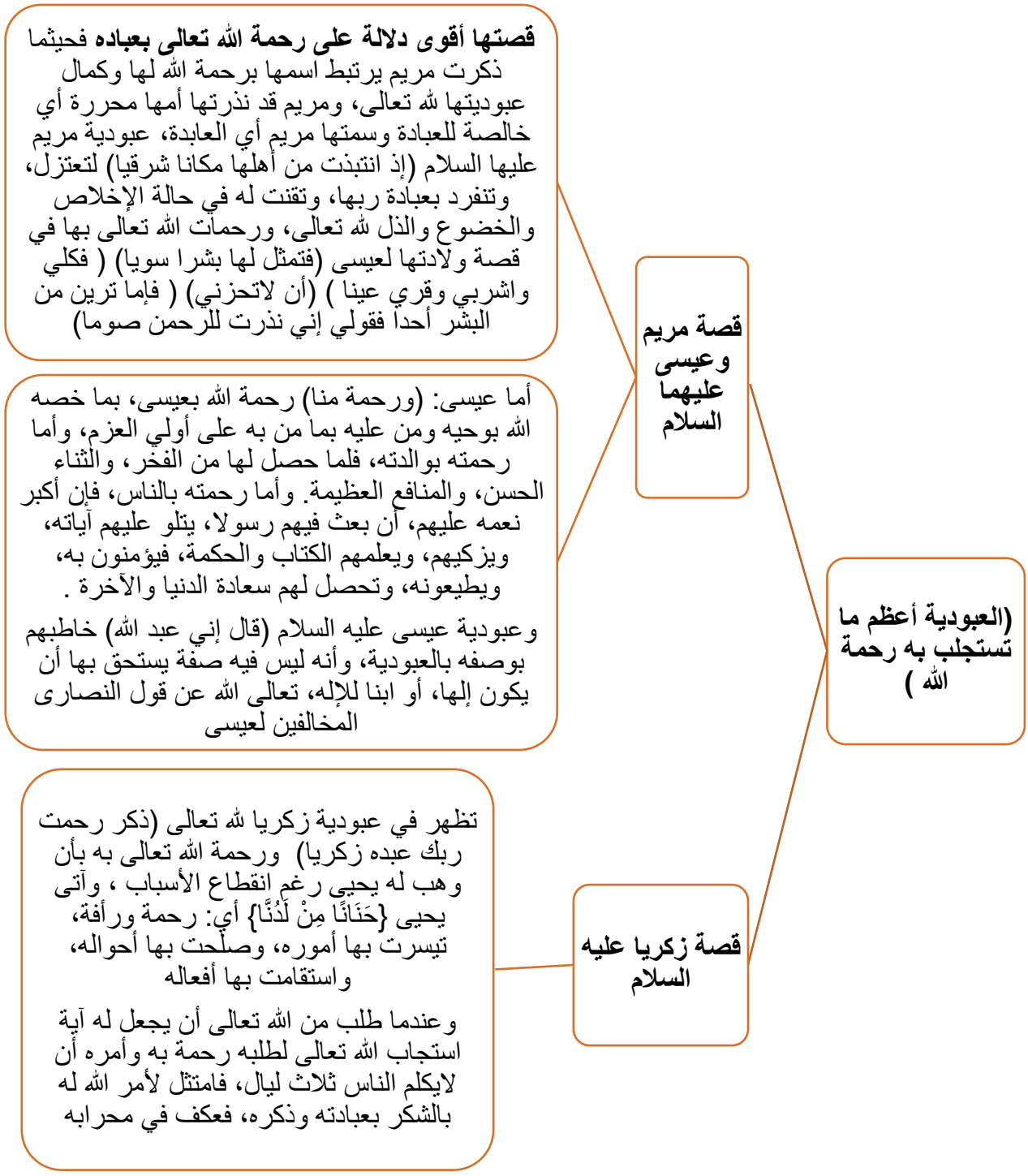
(العبودية أعظم ما تستجلب به رحمة الله)
قصة مريم وعيسى عليهما السلام
قصتها أقوى دلالة على رحمة الله تعالى بعباده فحيثما ذكرت مريم يرتبط اسمها برحمة الله لها وكمال عبوديتها لله تعالى، ومريم قد نذرتها أمها محررة أي خالصة للعبادة وسمتها مريم أي العابدة، عبودية مريم عليها السلام (إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتقنت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، ورحمات الله تعالى بها في قصة ولادتها لعيسى (فتمثل لها بشرا سويا) (فكلي واشربي وقري عينا) (أن لاتحزني) (فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما)
أما عيسى: (ورحمة منا) رحمة الله بعيسى، بما خصه الله بوحيه ومن عليه بما من به على أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولا، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة .
وعبودية عيسى عليه السلام (قال إني عبد الله) خاطبهم بوصفه بالعبودية، وأنه ليس فيه صفة يستحق بها أن يكون إلها، أو ابنا للإله، تعالى الله عن قول النصارى المخالفين لعيسى
قصة زكريا عليه السلام
تظهر في عبودية زكريا لله تعالى (ذكر رحمت ربك عبده زكريا) ورحمة الله تعالى به بأن وهب له يحيى رغم انقطاع الأسباب ، وآتى يحيى {حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا} أي: رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله
وعندما طلب من الله تعالى أن يجعل له آية استجاب الله تعالى لطلبه رحمة به وأمره أن لايكلم الناس ثلاث ليال، فامتثل لأمر الله له بالشكر بعبادته وذكره، فعكف في محرابه

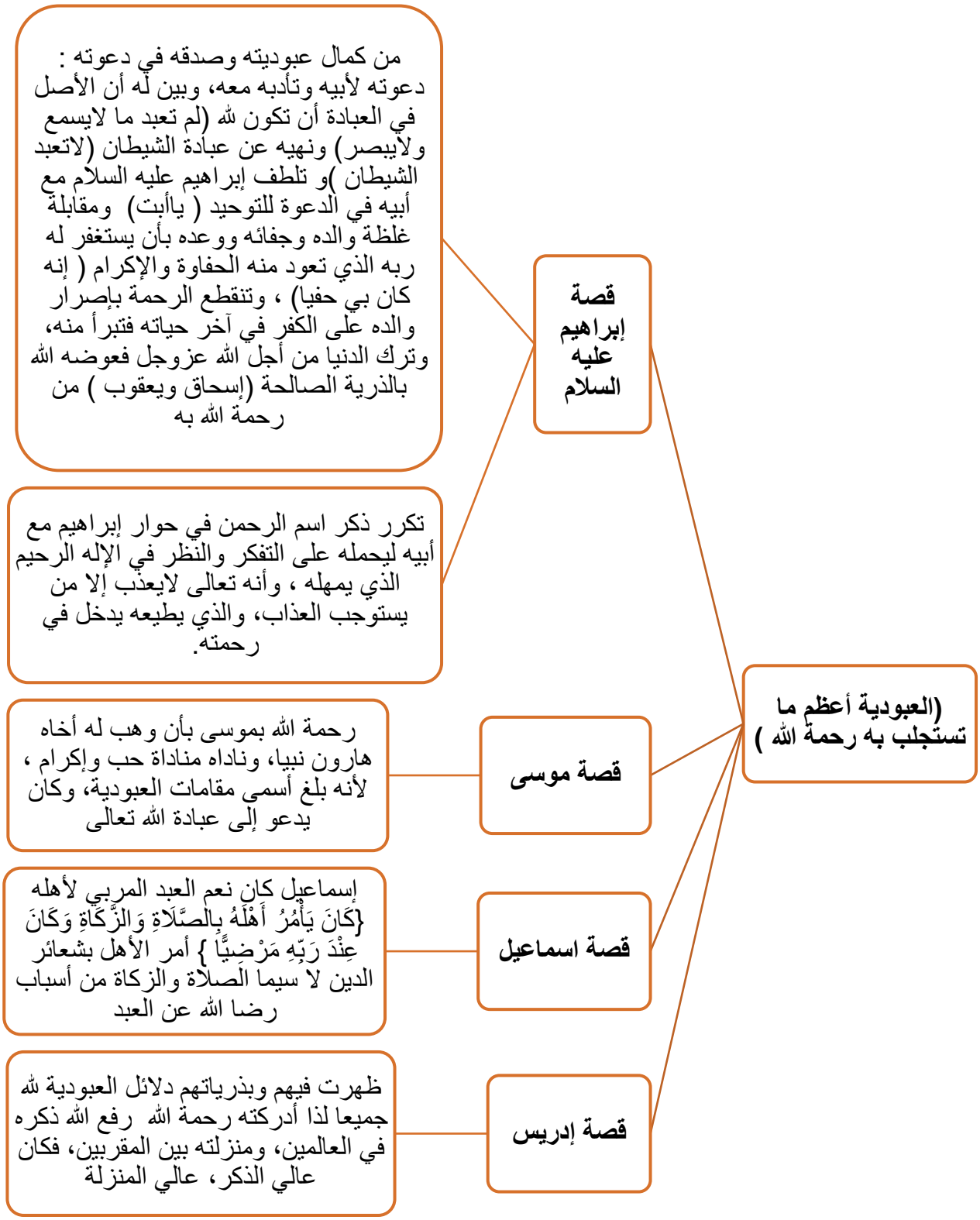
(العبودية أعظم ما تستجلب به رحمة الله)
قصة إبراهيم عليه السلام
من كمال عبوديته وصدقه في دعوته : دعوته لأبيه وتأدبه معه، وبين له أن الأصل في العبادة أن تكون لله (لم تعبد ما لايسمع ولايبصر) ونهيه عن عبادة الشيطان (لاتعبد الشيطان)و تلطف إبراهيم عليه السلام مع أبيه في الدعوة للتوحيد (ياأبت) ومقابلة غلظة والده وجفائه ووعده بأن يستغفر له ربه الذي تعود منه الحفاوة والإكرام (إنه كان بي حفيا) ، وتنقطع الرحمة بإصرار والده على الكفر في آخر حياته فتبرأ منه، وترك الدنيا من أجل الله عزوجل فعوضه الله بالذرية الصالحة (إسحاق ويعقوب) من رحمة الله به
تكرر ذكر اسم الرحمن في حوار إبراهيم مع أبيه ليحمله على التفكر والنظر في الإله الرحيم الذي يمهله ، وأنه تعالى لايعذب إلا من يستوجب العذاب، والذي يطيعه يدخل في رحمته.
قصة موسى
رحمة الله بموسى بأن وهب له أخاه هارون نبيا، وناداه مناداة حب وإكرام ، لأنه بلغ أسمى مقامات العبودية، وكان يدعو إلى عبادة الله تعالى
قصة اسماعيل
إسماعيل كان نعم العبد المربي لأهله {كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا } أمر الأهل بشعائر الدين لا سيما الصلاة والزكاة من أسباب رضا الله عن العبد
قصة إدريس
ظهرت فيهم وبذرياتهم دلائل العبودية لله جميعا لذا أدركته رحمة الله رفع الله ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة

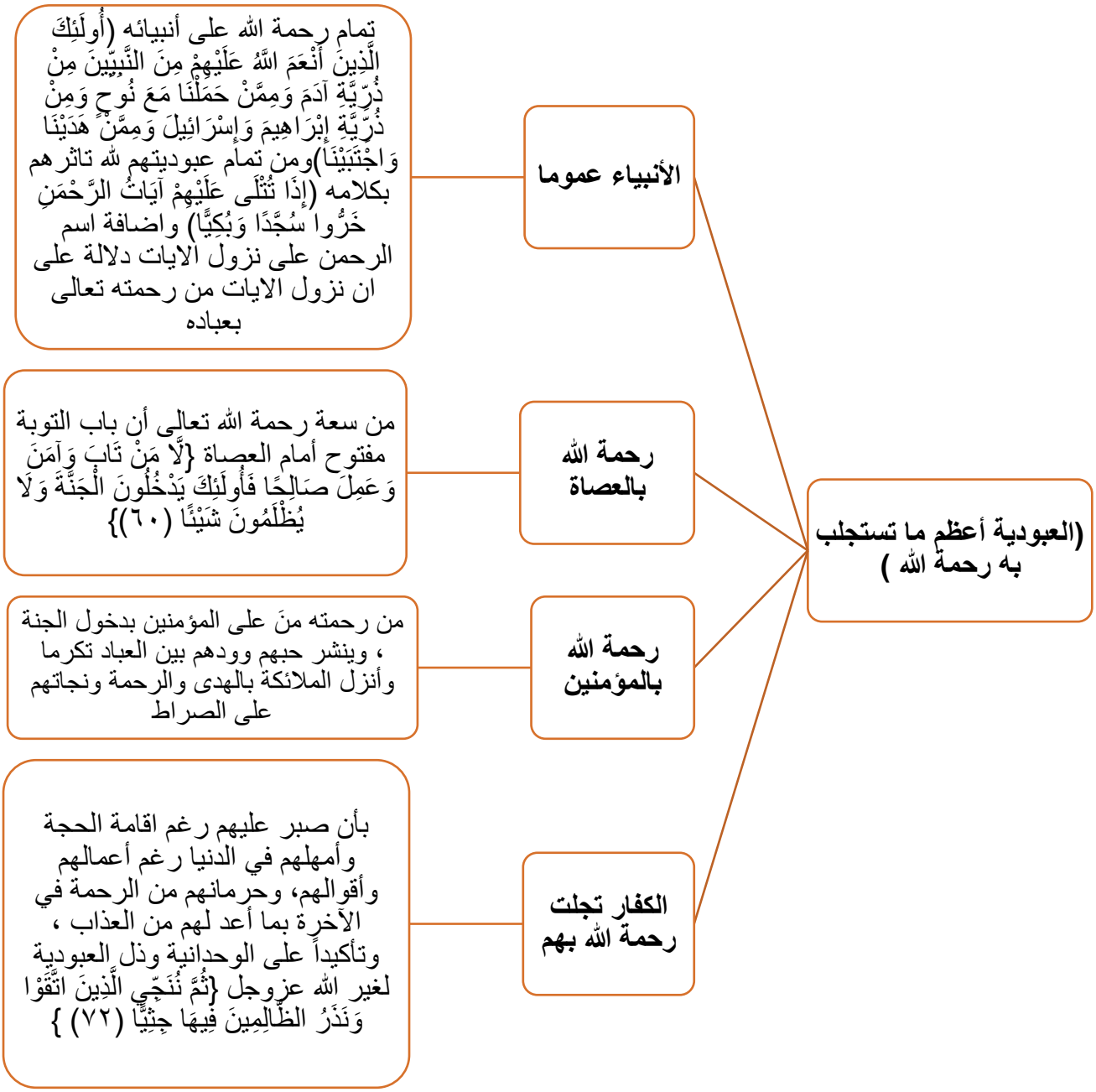
(العبودية أعظم ما تستجلب به رحمة الله)
الأنبياء عموما
تمام رحمة الله على أنبيائه (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا)ومن تمام عبوديتهم لله تاثرهم بكلامه (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) واضافة اسم الرحمن على نزول الايات دلالة على ان نزول الايات من رحمته تعالى بعباده
رحمة الله بالعصاة
من سعة رحمة الله تعالى أن باب التوبة مفتوح أمام العصاة {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)}
رحمة الله بالمؤمنين
من رحمته منَ على المؤمنين بدخول الجنة ، وينشر حبهم وودهم بين العباد تكرما وأنزل الملائكة بالهدى والرحمة ونجاتهم على الصراط
الكفار تجلت رحمة الله بهم
بأن صبر عليهم رغم اقامة الحجة وأمهلهم في الدنيا رغم أعمالهم وأقوالهم، وحرمانهم من الرحمة في الآخرة بما أعد لهم من العذاب ، وتأكيداً على الوحدانية وذل العبودية لغير الله عزوجل {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) }

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

المبحث الثالث: الترابط الموضوعي مع ذكر المقاصد والتدبر

رحمة الله عز وجل بزكريا عليه السلام من آية١_١٦

من عرف الله في الرخاء عرفه في الشدة ، لو أنك اتبعت الطريق الذي سار عليه زكريا عليه السلام فلن يضن الله عليك بالعطاء

قال قتادة في هذه الآية {إذ نادى ربه نداء خفيا} : إن الله يعلم القلب التقي ، ويسمع الصوت الخفي

تدبر ... " قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي " (الدعاء يصنع المعجزات بشرط أن تعرف ما يجعل دعائك مستجاباً) انكسارك لله هو عزك الحقيقي، وافتقارك إليه هو الغنى وانطراحك بين يديه هو القوة.

*في التعبير بوصف الربوبية دلالة بالغة، فالرب هو الخالق المدبر فكما خلق عز وجل عبده زكريا عليه السلام ولم يك شيئا، فهو سبحانه قادر على أن يأتي بالولد مع كبر السن وعقم الزوجة.

*علينا ألاّ نفكر في صعوبة أو استحالة طلبنا! بل نعتقد بقوة الرب وتمام قدرته.(قال ربُّك هو عليَّ هيّن)

مكان الهبات هو المحرب: (فخرج على قومه من المحراب) (كلما دخل عليها زكريا المحراب) (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب).

تدبر ... رغم منعه من الكلام إلا أنه يواصل ذكر الله عز وجل فالذكر من أيسر العبادات ومن أعظمها أجرا.

الجد والاجتهاد والعزم في طلب العلم النافع والعمل به والدعوة إليه

{يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢)}.

تدبر ... لابد أن تربي أبناءك على الجد في طلب العلم، ولاتتكاسل وتضعف تحت مسمى صغار لايصلحون إلا للعب أو سن المراهقة وغيرها من الإدعاءات.

{وحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣)} الحنان والرحمة من الصفات الفطرية التي أودعها المولى عز وجل قلوب من يحب من عباده، وعلى الداعية إلى الله أن يتحلى بصفات الرحمة والحنان والرفق ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»

{ وَكَانَ تَقِيًّا } التقوى فهي سر النجاح و طريق الفلاح .(وبرا بوالديه) هما قال سعيد بن المسيب : " البار لا يموت ميتة السوء "

رحمته تعالى بمريم وابنها عيسى عليه السلام (١٦-٣٢)

مريم في خلوتها: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) من علامات المحبة أن يكون للمحب حال مع ربه لا يحب أن يطلع عليه أحدا وإن كان أقرب الناس إليه.

(في الكتاب) القصص القرآني هو الزاد الذي يتزود به المؤمن في حياته. لذا لا بد من دوام التأمل والتدبر والاعتبار به وفي ذكر مريم في هذا السجل الخالد تشريف وتكريم لها .

عيسى اختلف فيه على ثلاثة أوجه. فاليهود كذبوه واستهانوا به ، واتهموا امه بما هي بريئة منه رغم ثبوت براءتها وظهور نزاهتها ، وحسن سيرتها والنصارى غالوا فيه وادعوا ربوبيته وألوهيته. وهناكفئة زادهم إيمان توسطوا وقالوا عبدالله ورسوله

من المحن تأتي المنح: مهما كنت بعيدا عن الناس و عن دعمهم لست بعيدا عن عطاء ربك. فبين الضيق والفرج قول مريم (يا ليتني مت) ؛ وقول (فكلي واشربي وقري عينا)

*لكمال عفافها وطهرها تمنّتْ أن تكون: ﴿ نسياً منسيا ﴾ فخلّدها الله ذِكْراً لا يُنسى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾

(وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أعلم عملاً أقرب إلى الله سبحانه وتعالى من بر الوالدة !

(وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)

حين تُغلق صحف العمل، ويبدأ الحساب، تتحسر النفوس!

رحمة الله بإبراهيم عليه السلام (٤١-٥٠)
من أدبه عليه السلام اختياره كلمة الاعتزال بمقابل ذلك عبر أبيه بالهجر، فالهجر أشد من الاعتزال إذ الاعتزال يعني الابتعاد وعدم المشاركة والموافقة في الرأي مع تكرار المحاولة إذا سنحت الفرصة أما الهجر فيحمل معنى القطيعة والجفاء
(فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً) الابتعاد عن المنكرات ومواطن الفتن ؛ تأتي الهبات والخيرات. ومن تركَ شيئا لله عوّضه الله.. إما مالياً، أو نفسياً، أو إيمانياً، وقد تجتمع كلها للشخص، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
(وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) الذي يجعل لك الذكر الحسن بين الناس هو الله وذلك بنقاء قلبك ومطابقة سرك لعلانيتك

أوامر ورحمات

الصلاة تربي على الصبر وبهما يتحقق النصر (استعينوا بالصبر والصلاة) (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) التلازم بين الصلاة والزكاة فالصلاة حق الله تعالى و الزكاة حق العباد ، وفي الوفاء بحق الله تعالى وحق العباد تحصيل رضا الله تعالى

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩)} التلازم بين إضاعة الصوات والانغماس في الشهوات، فالصلاة ميزان للعبد وعصمة له وسمو بروحه وتهذيب لنفسه.

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)

استبطأ النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: " لو تأتينا أكثر مما تأتينا " فنزلت الآية.

تدبر ...الدين كامل غطى تشريعه أحكام الحياة فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللَّهِ عَافِيَتُهُ

قال الشافعي: آيةٌ من القرآن هي سهمٌ في قلب الظالم وبلسمٌ على قلب المظلوم قيل وما هي؟!، فقال قوله تعالى : "ومَا كانَ رَبُّكَ نَسِيّاً"

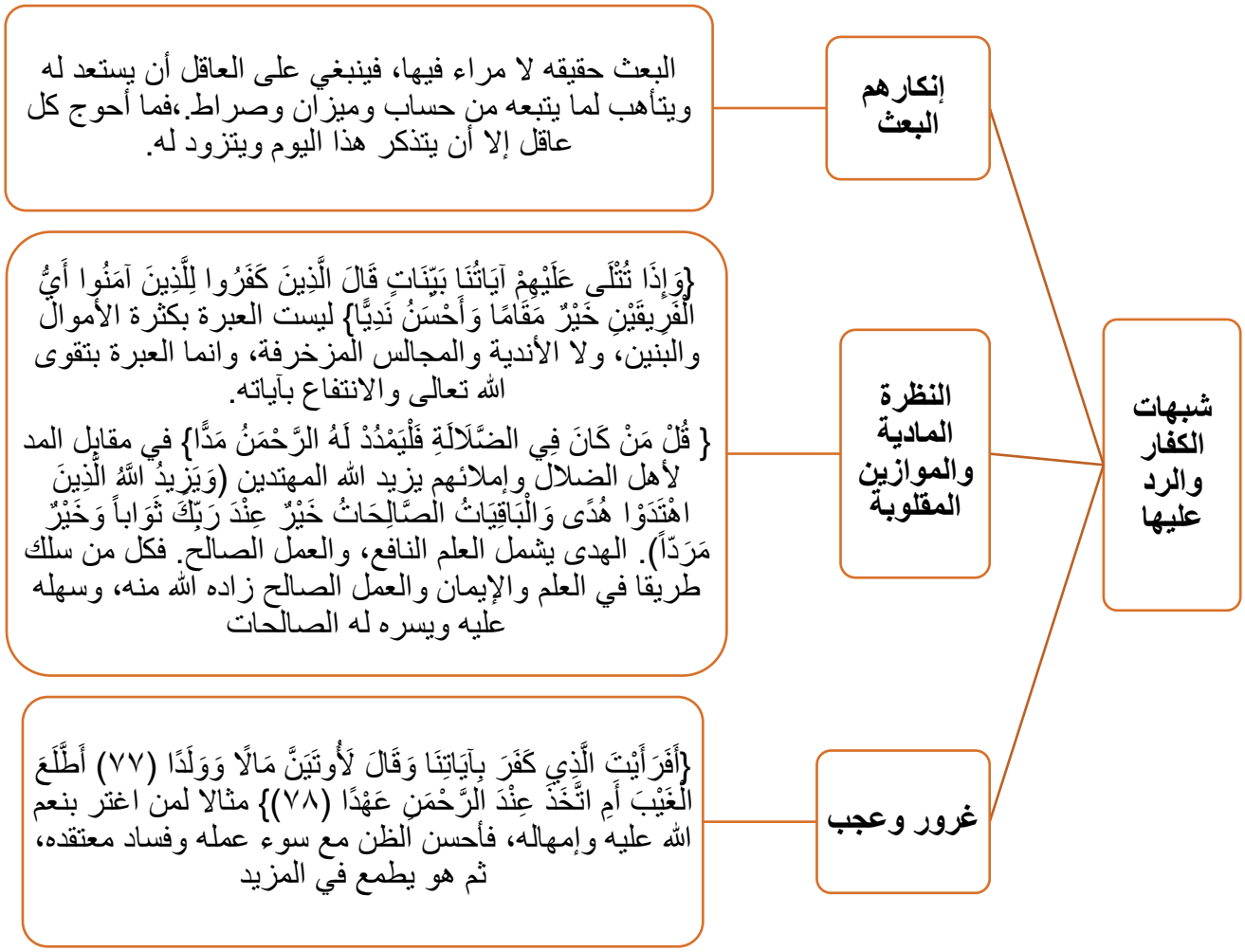
شبهات الكفار والرد عليها
إنكارهم البعث
البعث حقيقه لا مراء فيها، فينبغي على العاقل أن يستعد له ويتأهب لما يتبعه من حساب وميزان وصراط.،فما أحوج كل عاقل إلا أن يتذكر هذا اليوم ويتزود له.
النظرة المادية والموازين المقلوبة
{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} ليست العبرة بكثرة الأموال والبنين، ولا الأندية والمجالس المزخرفة، وانما العبرة بتقوى الله تعالى والانتفاع بآياته.
{ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا} في مقابل المد لأهل الضلال وإملائهم يزيد الله المهتدين (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً). الهدى يشمل العلم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقا في العلم والإيمان والعمل الصالح زاده الله منه، وسهله عليه ويسره له الصالحات
غرور وعجب
{أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨)} مثالا لمن اغتر بنعم الله عليه وإمهاله، فأحسن الظن مع سوء عمله وفساد معتقده، ثم هو يطمع في المزيد

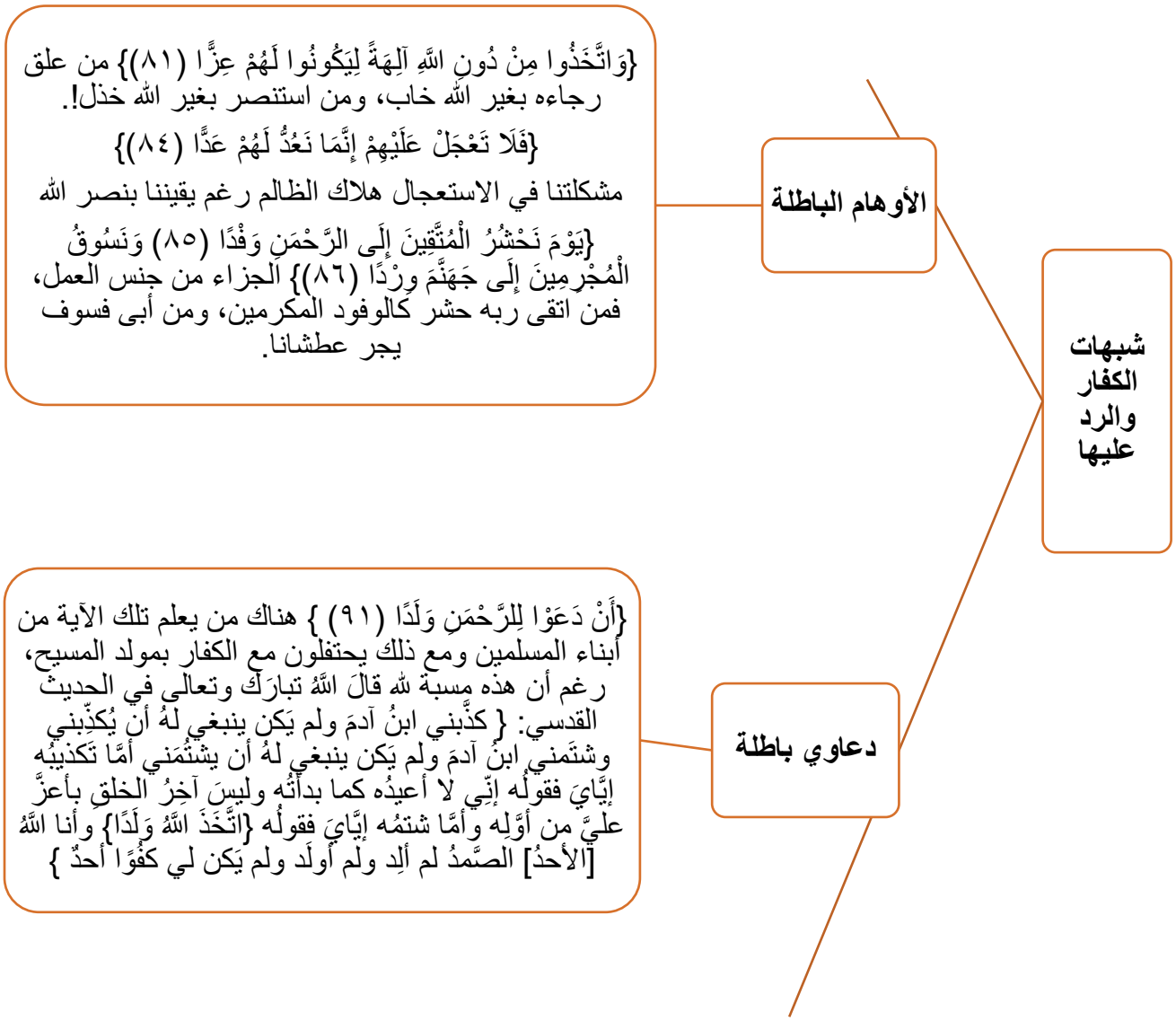
شبهات الكفار والرد عليها
الأوهام الباطلة
{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١)} من علق رجاءه بغير الله خاب، ومن استنصر بغير الله خذل!.
{فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)}
مشكلتنا في الاستعجال هلاك الظالم رغم يقيننا بنصر الله
{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)} الجزاء من جنس العمل، فمن اتقى ربه حشر كالوفود المكرمين، ومن أبى فسوف يجر عطشانا.
دعاوي باطلة
{أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) } هناك من يعلم تلك الآية من أبناء المسلمين ومع ذلك يحتفلون مع الكفار بمولد المسيح، رغم أن هذه مسبة لله قالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالى في الحديث القدسي: { كذَّبني ابنُ آدمَ ولم يَكن ينبغي لهُ أن يُكذِّبني وشتَمني ابنُ آدمَ ولم يَكن ينبغي لهُ أن يشتُمني أمَّا تَكذيبُه إيَّايَ فقولُه إنِّي لا أعيدُه كما بدأتُه وليسَ آخِرُ الخلقِ بأعزَّ عليَّ من أوَّلِه وأمَّا شتمُه إيَّايَ فقولُه {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} وأنا اللَّهُ [الأحدُ] الصَّمَدُ لم ألِد ولم أولَد ولم يَكن لي كفُوًا أحدٌ }

ختام السورة

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)}

بقدر إيمانك وعملك الصالح يزرع الله لك ودا في قلوب العالمين بدون تعب يخلقه الله في قلوب العباد.

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)} يسر الله القرآن على لسانك فاجعله سبيلك لدعوة الناس

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)}

تختتم السورة بسؤال يلفت الأنظار ويثير الانتباه ويذكر بمن طوي ذكرهم بعد أن كانوا ملء الأسماع والأبصار، هل بقي منهم أحد؟ وهل تحس منهم من أحد؟! أو تسمع لهم ولو صوتا خفيا؟

سورة طه

المبحث الأول: التعريف بالسورة.

سورة طه

نزولها

مكية نزلت بعد سورة مريم، نزلت هذه السورة في السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة، والمسلمون في عناء شديد من أذى الكفار

المحور الرئيسي للسورة

(السعادة في سرعة الاستجابة لأوامر الله) { وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ }: وذلك بتصحيح الإعتقاد وبيان أن هذا المنهج لم يأت حتى يشقى الناس به إنما هو منهج يضمن السعادة لمن تبعه وطبّقه مهما واجهته من مصاعب ومحن في حياته، فكيف يعقل أن يكون فيه شقاؤنا ؟! والسورة تعطي نموذج لمن لا يطبق منهج الله تعالى كيف سيكون في شقاء (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا).

وقد يعتقد البعض أن من سيلتزم بهذا المنهج والدين سيكون شقياً لا يخرج من بيته ولا يضحك ولا يخالط الناس لأن عنده فكرة مغلوطة عن حقيقة السعادة والشقاء في تطبيق منهج الله.

سحرة فرعون لمّا آمنوا بالله ورغم أنهم تعرضوا للأذى من فرعون إلا أنهم علموا أنهم سيحصلون على السعادة الحقيقية بتطبيق المنهج في الدنيا والآخرة (قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ)

قصة آدم وحواء : تعرض الآيات نموذج آدم عليه السلام، وكيف أن السعادة الحقيقية هي في طاعة الله تعالى (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ) الشقاء بترك المنهج: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) إلى (قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ) .

المبحث الثاني: المناسبات في السورة.

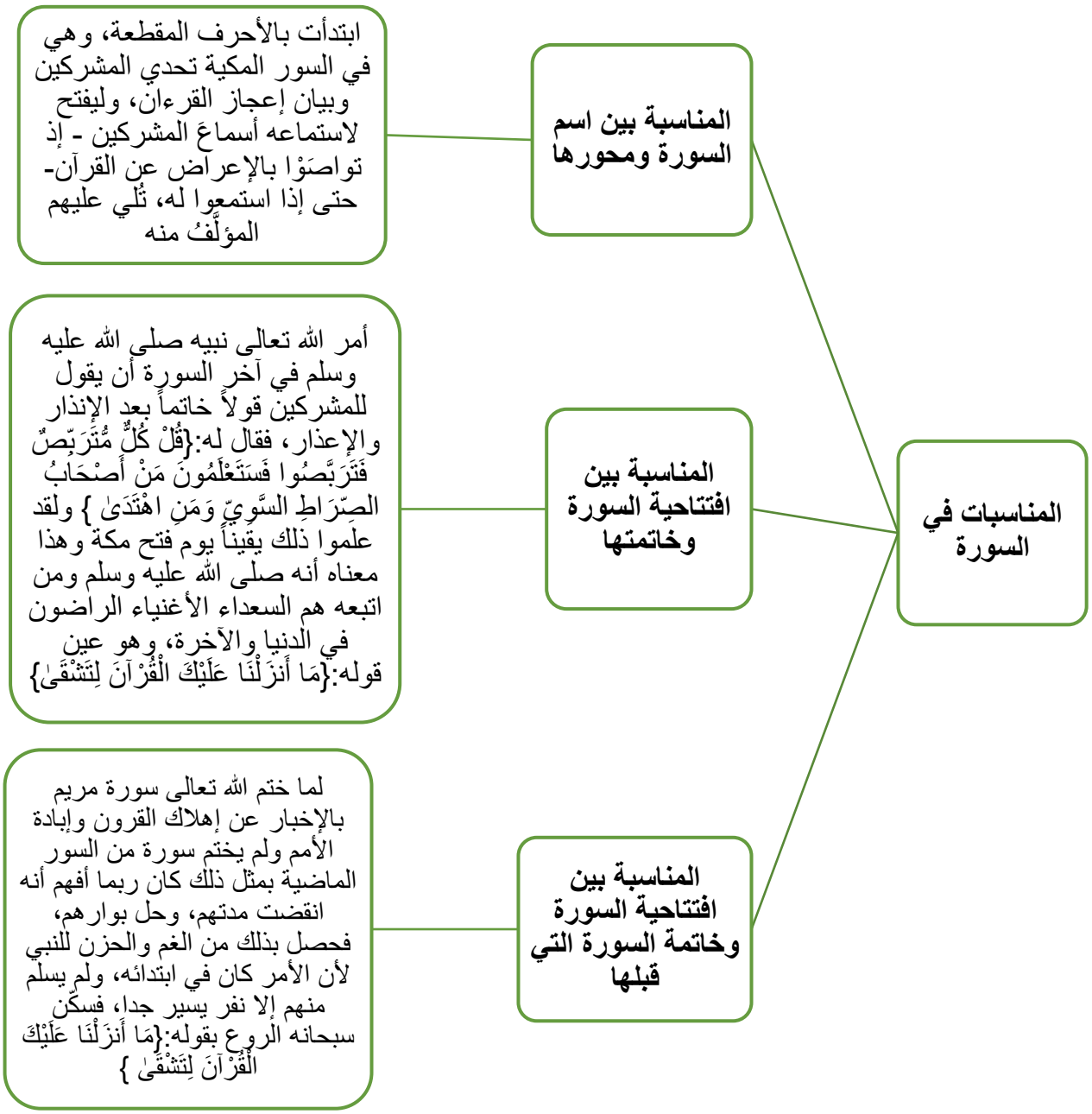

المبحث الثالث: مقاصد السورة والترابط الموضوعي لها والتدبر.

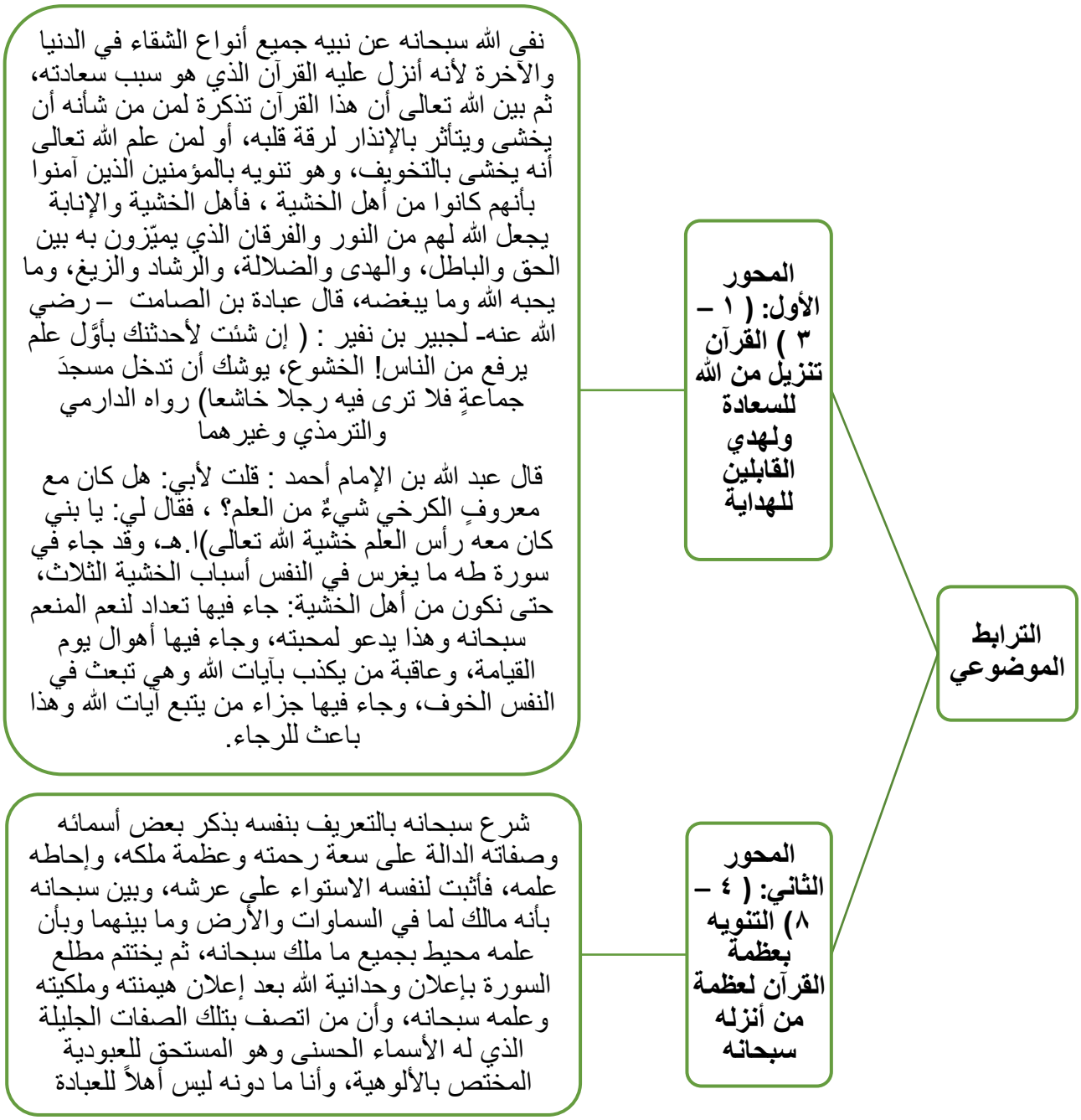

المحور الثالث: (٩ –٩٨) قصة موسى عليه السلام

اشتملت قصة موسى في سورة (طه) على العديد من الأمور الدالة على أن السعادة في الاستجابة لأوامر الله

ولما كانت قصة موسى قد شغلت أكثر من نصف هذه السورة، حيث بلغ عدد آياتها (٩٠) آية من (١٣٥) آية، سنقسمها إلى مشاهد ستة

المشهد الأول/ مشهد المناجاة في الوادي المقدس (٩-٤١)

إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} قال ابن عاشور: اجتلاب موسى إلى الوادي المقدس لتلقي الوحي باستدعائه بنور في ظلمة رمز على أنه سيتلقى ما به إنارة ناس بدين صحيح بعد ظلمة الضلال وسوء الاعتقاد.

{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} وهذا هو الطريق الثاني للانتفاع بالقرآن وهو إلقاء السمع، وقال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورا

المشهد الثاني/ مشهد التكليف والرعاية (٤٢-٨٤)

{ وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي } أمر الله موسى وهارون بألا يضعفا في ذكره ليكون عونًا لهما وسلطان على فرعون وملئه. وهذا المعنى موافق لما جاء في الحديث : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أخذ بيد معاذ وقال:[يا معاذُ واللهِ إني لَأُحبُّك واللهِ إني لَأُحبُّك فقال أوصيك يا معاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ تقول اللهمَّ أعِنِّي على ذكرِك وشكرِك وحسنِ عبادتِك]

{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } لأن القول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } من كان الله معه أمن واستغنى عمن سواه

المشهد الثالث/ مشهد الحوار والجدال مع فرعون (٤٩-٥٩)

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } عرّف موسى عليه السلام فرعون بالله عز وجل لأن من عرف الله سبحانه أحبه ومن أحبه هابه

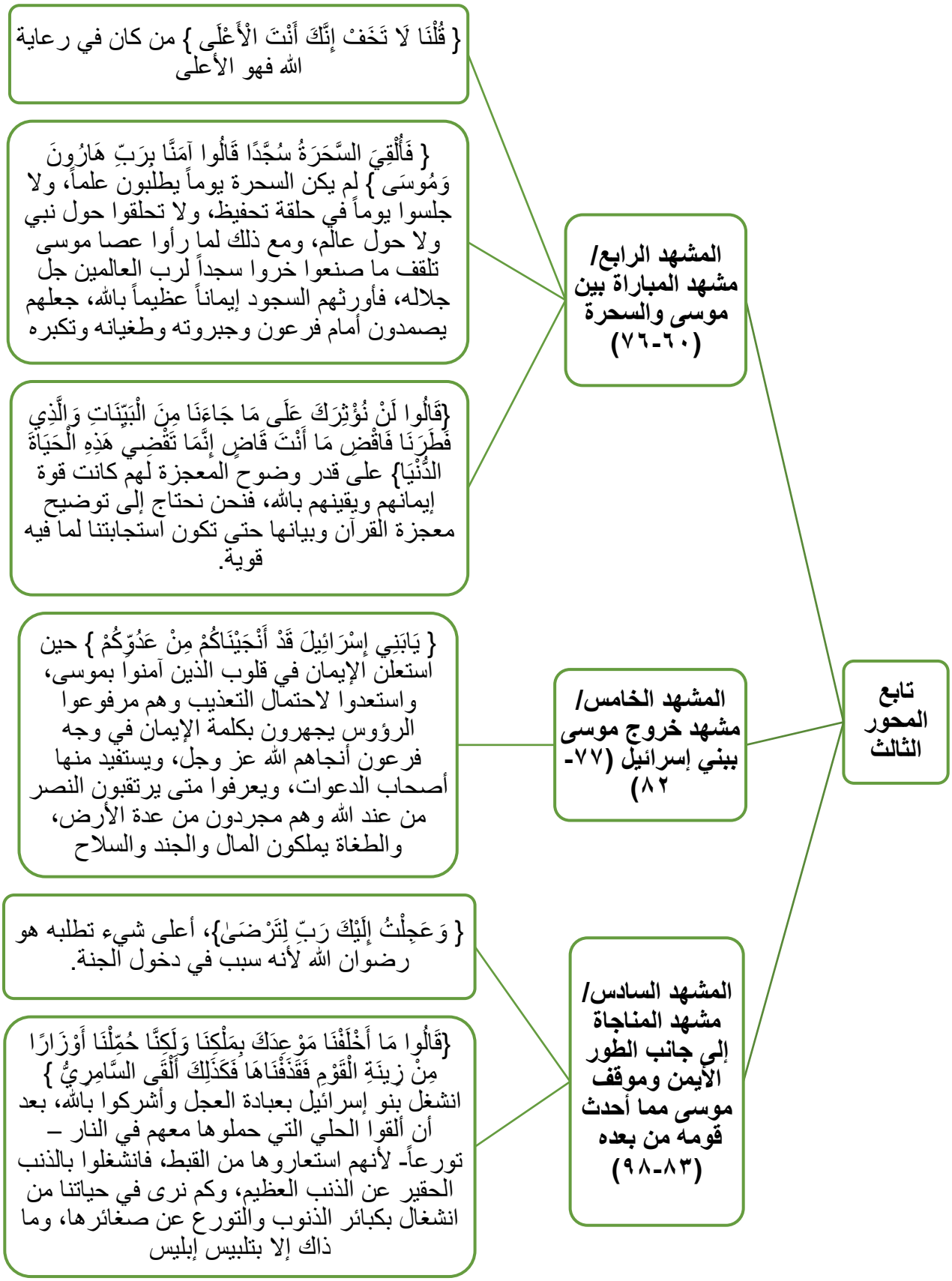
تابع المحور الثالث
المشهد الرابع/ مشهد المباراة بين موسى والسحرة (٦٠-٧٦)
{ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى } من كان في رعاية الله فهو الأعلى
{ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى } لم يكن السحرة يوماً يطلبون علماً، ولا جلسوا يوماً في حلقة تحفيظ، ولا تحلقوا حول نبي ولا حول عالم، ومع ذلك لما رأوا عصا موسى تلقف ما صنعوا خروا سجداً لرب العالمين جل جلاله، فأورثهم السجود إيماناً عظيماً بالله، جعلهم يصمدون أمام فرعون وجبروته وطغيانه وتكبره
{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} على قدر وضوح المعجزة لهم كانت قوة إيمانهم ويقينهم بالله، فنحن نحتاج إلى توضيح معجزة القرآن وبيانها حتى تكون استجابتنا لما فيه قوية.
المشهد الخامس/ مشهد خروج موسى ببني إسرائيل (٧٧-٨٢)
{ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ } حين استعلن الإيمان في قلوب الذين آمنوا بموسى، واستعدوا لاحتمال التعذيب وهم مرفوعوا الرؤوس يجهرون بكلمة الإيمان في وجه فرعون أنجاهم الله عز وجل، ويستفيد منها أصحاب الدعوات، ويعرفوا متى يرتقبون النصر من عند الله وهم مجردون من عدة الأرض، والطغاة يملكون المال والجند والسلاح
المشهد السادس/ مشهد المناجاة إلى جانب الطور الأيمن وموقف موسى مما أحدث قومه من بعده (٨٣-٩٨)
{ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ}، أعلى شيء تطلبه هو رضوان الله لأنه سبب في دخول الجنة.
{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ } انشغل بنو إسرائيل بعبادة العجل وأشركوا بالله، بعد أن ألقوا الحلي التي حملوها معهم في النار – تورعاً- لأنهم استعاروها من القبط، فانشغلوا بالذنب الحقير عن الذنب العظيم، وكم نرى في حياتنا من انشغال بكبائر الذنوب والتورع عن صغائرها، وما ذاك إلا بتلبيس إبليس

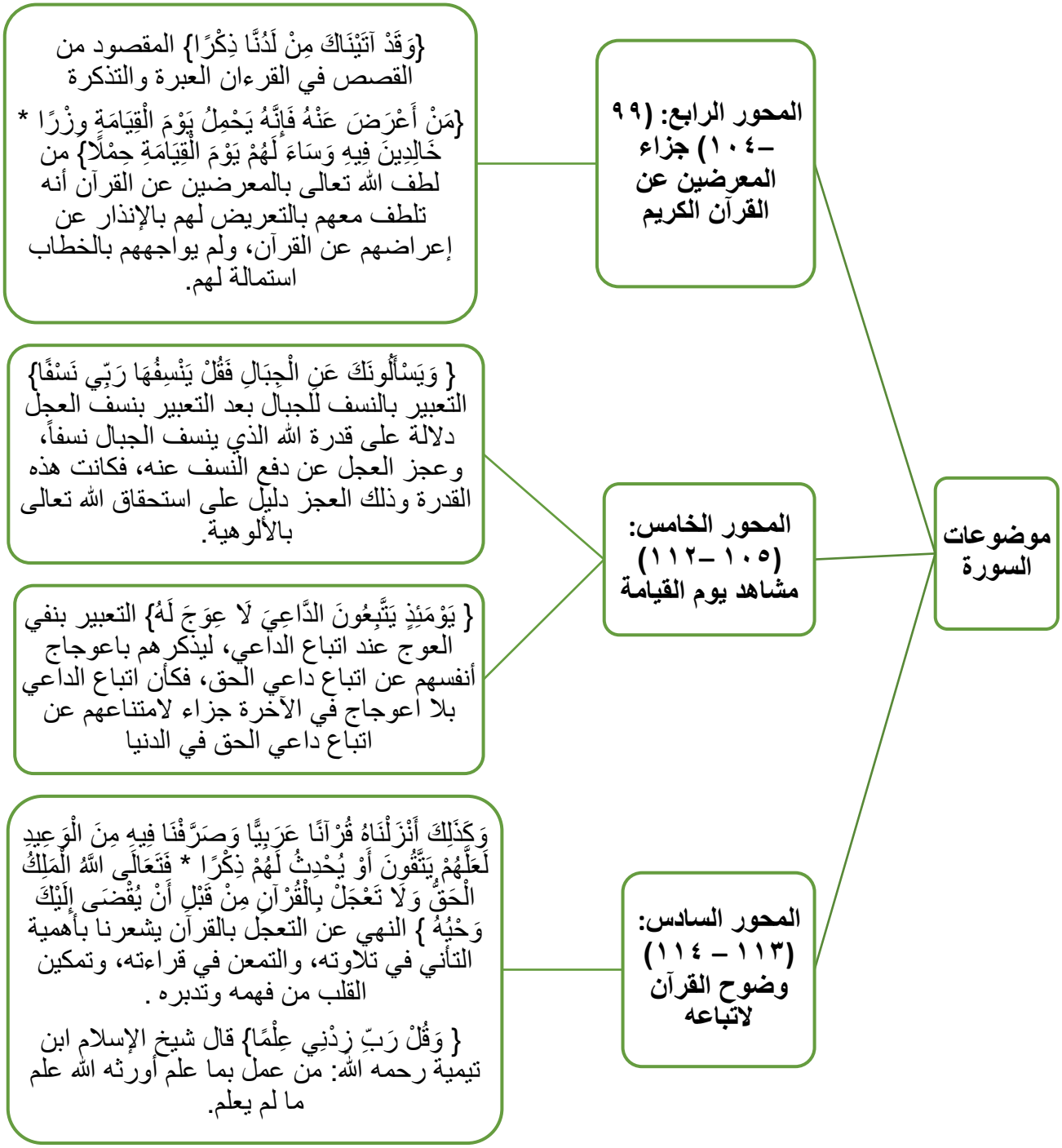
موضوعات السورة
المحور الرابع: (٩٩ –١٠٤) جزاء المعرضين عن القرآن الكريم
{وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا} المقصود من القصص في القرءان العبرة والتذكرة
{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا} من لطف الله تعالى بالمعرضين عن القرآن أنه تلطف معهم بالتعريض لهم بالإنذار عن إعراضهم عن القرآن، ولم يواجههم بالخطاب استمالة لهم.
المحور الخامس: (١٠٥ –١١٢) مشاهد يوم القيامة
{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا} التعبير بالنسف للجبال بعد التعبير بنسف العجل دلالة على قدرة الله الذي ينسف الجبال نسفاً، وعجز العجل عن دفع النسف عنه، فكانت هذه القدرة وذلك العجز دليل على استحقاق الله تعالى بالألوهية.
{ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ} التعبير بنفي العوج عند اتباع الداعي، ليذكرهم باعوجاج أنفسهم عن اتباع داعي الحق، فكأن اتباع الداعي بلا اعوجاج في الآخرة جزاء لامتناعهم عن اتباع داعي الحق في الدنيا
المحور السادس: (١١٣ – ١١٤) وضوح القرآن لاتباعه
وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ } النهي عن التعجل بالقرآن يشعرنا بأهمية التأني في تلاوته، والتمعن في قراءته، وتمكين القلب من فهمه وتدبره .
{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

موضوعات السورة

المحور السابع: (١١٥ – ١٢٧) قصة آدم

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } عهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة، تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة، وتأكيد الشخصية، والتحرر من رغائب النفس وشهواتها، فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها والتحكم فيها والاستعلاء عليها كانت أعلى في سلم الرقي البشري. وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت كانت أقرب إلى البهيمية.

{ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } واقعة آدم عجيبة وذلك لأن الله تعالى رغبه في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله: (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤا فيها ولا تضحى) [طه: ١١٧- ١١٩] ورغبه إبليس أيضا في دوام الراحة بقوله:(هل أدلك على شجرة الخلد) وفي انتظام المعيشة بقوله: (وملك لا يبلى) فكان الشيء الذي رغب الله آدم فيه هو الذي رغبه إبليس فيه إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراس عن تلك الشجرة وإبليس وقفه على الإقدام عليها، ثم إن آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله تعالى مولاه وناصره ومربيه أعلمه بأن إبليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته، كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول إبليس مع علمه بكمال عداوته له وأعرض عن قول الله تعالى مع علمه بأنه هو الناصر والمربي. ومن تأمل في هذا الباب طال تعجبه وعرف آخر الأمر أن هذه القصة كالتنبيه على أنه لا دافع لقضاء الله ولا مانع منه، وأن الدليل وإن كان في غاية الظهور ونهاية القوة فإنه لا يحصل النفع به إلا إذا قضى الله تعالى ذلك وقدره.

المحور الثامن: (١٢٨ – ١٣٥) خاتمة : إنذار للمشركين وإعذار، وتوجيه للنبي صلى الله عليه وسلم وإرشاد

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى } لما كانت الدنيا حلوة نضرة وما فيها من النعم نعم زائلة، شبهها الله بالزهر، لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل.

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} فأول واجبات الرجل المسلم أن يحول بيته إلى بيت مسلم وأن يوجه أهله إلى أداء الفريضة التي تصلهم معه بالله.

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) فتسبيح الله تعالى و ذكره و طاعته هم السبيل المؤدي إلى أعلى درجات السعادة، ألا و هي رضا الله، فمن كملت طاعته كملت سعادته، ومن نقصت طاعته نقص من سعادته بقدر ما نقص من طاعته